علاقة إيالة الجزائر مع اسبانيا

تعرضت الجزائر في القرن السادس عشر إلى غارات اسبانية عديدة نجحوا في بعضها من احتلال بعض المدن وفشلوا في أخرى واستعمل الاسبان طرقا مختلفة في فرض سيطرتهم على المدن الساحلية الجزائرية، أهمها:

- اسلوب القوة العسكرية .
- اسلوب فرض المعاهدات على زعماء المناطق التي وصلوا اليها، تحت طائلة التهديد[1].

تعتبر حملة الاسبان ضد الجزائر في 1541م أشهر الحملات الاسبانية التي تزعمها "شركان" الا أن الحملة باءت بالفشل –كما سبق واشرنا في المحاضرات السابقة– وتعود اسباب الهزيمة إلى ثلاثة اسباب هي:

1) استصغار الامبراطور بشأن الجزائر واعتقاده بتحقيق النصر نظر لما يملكه من قوة العسكرية التي جاء بها.
2) حسن قيادة حسن آغا وشجاعته في العمل على رد العدوان.
3) الزوبعة البحرية التي أتت على تحطيم 150 سفينة من احجام مختلفة كانت راسية في البحر أو غرقت[2].

كما فشلت حملة الاسبان ضد الجزائر 1567م التي قادها غاسكون أحد البحارة الاسبان، وفي1601م في عهد فليب فشلت محاولة أخرى لاحتلال الجزائر، وفي سنة 1732م اعاد الاسبان احتلال وهران بعد أن طردو منها 1708م حيث ظلت آثار الهزيمة ماثلة في أذهانهم، ولذا فإنهم ظلوا حرصين على إعادة احتلالها. ولتنفيذ هذا المخطط أصدر الملك "فليب الخامس" منشورا مؤرخا في 6 جوان 1732م، من إشبيلية يطلب فيه الدعم الداخلي ومن الدول المسيحية لاسترجاع المدينة[3].

حملة أورياللي 1775م: لقد استمر الإسبان في سعيهم الحثيث من أجل احتلال مدينة الجزائر رغم المحاولات السابقة التي وقعت في القرن السادس عشر ففي 1775م حاول شارل الثالث تحقيق ما فشل فيه اسلافه، فجهزت حملة كبيرة تتكون من 400سفينة حربية ونقل وقد حظى الملك الاسباني بتأيد الكنيسة وبعض الدول الأوربية على رأسها المدن الايطالية. أسند قيادة الحملة للأميرال الإيرلندي الأصل "أورياللي" إنطلقت الحملة من قرطاجنة في 23 جوان ووصلت للجزائر في أول جويلية بدأ الانزال في مصب واد الحراش في 8 جويلية، كان الانزال بطيئا مما سهل على سلطات الجزائر استقدام التعزيزات العسكرية، ما أرغم الاسبان على الانسحاب

---

[1]– عبد القادر فكاير، **الغزو الإسباني للسواحل الجزارية وأثاره، (910–1206هـ/ 1505–1792م)**، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص52.

[2]– المرجع نفسه، ص70

[3]– المرجع نفسه، ص74.

وبكريقة غير نظامية، والالتحاق بسفنهم الراسية في الساحل تاركين نحو100مدفعوآلات حربية أخرى، وحوالى 3000قتيل بعد معركة دامت عشرة أيام[4].

وفي جويلية 1783م ارسل اسطول اسباني مكون من 80 سفينة لمدينة الجزائر بقيادة "أنطونيو بارثيللو" قاومه البحارة الجزائريون واجبروهم على التراجع وأعاد الاسبان كرتهم فأرسلوا أسطول في 1784م بقيادة بارثيلو مرة أخرى، يضم 130سفينة حربية من كل الأحجام. بدأت المعركة في 12 جويلية واستمرت إلى يوم 22من نفس الشهر واجبر الاسطول الاسباني على الانسحاب[5].

–تحرير وهران والمرسى الكبير:

من أهم العوامل التي ساهمت في تحرير وهران والمرسى الكبير نذكر:

- فشل الحملات الاسبانية ضد الجزائر، أوريلي ودون انطونيو.
- العناء الكبير الذي واجهته من مقاومة السكان والاساطيل الجزائرية[6].
- رغبة اسبانيا في الحصول على امتيازات اقتصادية في غرب الجزائر على غرار امتيازات فرنسا في الشرق الجزائري.
- زلزال 1790م الذي ضرب وهران وخرب ثلثها، وعندئذ قررت اسبانيا التفاوض بصورة جدية وحصل الاتفاق، وشرعت اسبانيا في اخلاء المدينتين في ديسمبر 1791م، وتم الجلاء بصفة نهائية في مارس 1792م ووافق الداي على السماح للإسبان باصطياد المرجان في سواحل الغرب الجزائري، وتأسيس مركز تجاري لهم بجامع الغزوات، دخل محمد الكبير بن عثمان مدينة وهران 24 فيفري 1792م[7].

---

[4]– المرجع نفسه، ص 76

[5]– المرجع نفسه، ص77.

[6]– يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية، مرجع سابق، ص103.

[7]– المرجع نفسه، 103.

العلاقات بين إيالة الجزائر ودول شمال أوروبا

– السلم بين السويد و الجزائر 1141هـ 1729 م:

تعتبر مملكة السويد الدولة الأوروبية الخامسة التي وقّعت معاهدة سلام وتجارة مع الجزائر، بعد كلّ من فرنسا سنة 1619 م، الأراضي المنخفضة و انجلترا 1622 م، و النمسا في سنة 1727 م .و بالتالي كانت الدولة الثانية التي سعت لهذا الأمر في القرن 18 م ، قبل كل من الدانمارك 1746 م، توسكانيا 1749 م، البندقية 1764م، اسبانيا1785م، البرتغال 1793 م و أخيرا الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1795

- دوافع السويد لعقد سلمٍ مع الجزائر :

عجز الأوروبيين عن تطوير سياسة جماعية في المتوسط لمجابهة قرصنة، فسعوا كسب ود الجزائريين بطرق أقلّ كلفة عبر الهدايا و الإتاوات وهذا ما حصل تقريبا مع السويد التي ارتأت الوصول إلى التفاهم مع الجزائر ليس لقوة هذه الأخيرة، بل لضعف السويد بعد حرب الشمال الكبرى واعتمادها أسلوب السلم و الحياد في علاقاتها الدولية، لذا قررت تأمين تجارتها المتوسطية بعد تعطيلها لفترات طويلة بسبب القرصنة.

فالقراصنة الجزائريون والمغاربة لم يهددوا الأمن القومي للسويد بل هددوا أمنها الاقتصادي، فكان الحل هو معاهدة سلام. وهذا ما يقودنا إلى السبب الرئيسي أو المباشر الذي دفع السويد لطلب الصداقة مع الجزائر، فقد أقر الدّستور السويدي لسنة 1720 م قرارين هامين لتنظيم التجارة البحرية :أولهما قانون الملاحة السويدي الذي سبق عرضه، و ثانهما تأسيس مكتب سنة 1724م لتنظيم عملية إبحار السفن السويدية في مواكب، وهو الإجراء الذي اعتمدته السويد في ابحارها إلى المتوسط منذ أواخر القرن 17 م فبالإضافة إلى أن المكتب يهتم بفدية الأسرى السويديين في شمال إفريقيا، و أن يموّل مفاوضات السلام مع الإيالات المغاربية، خاصة بعد المعاهدة الهولندية الجزائرية لسنة1726 م .فقبل هذه المعاهدة، كانت السفن الهولندية و السويدية المتجهة إلى المياه الدافئة تنتظم في قوافل متحدة لتتعاون على الدفاع ضد هجمات القراصنة ، لكن بتوقيع المعاهدة، منعت بنودها هولندا من حماية سفن دول أخرى غير سفنها، فتركت بذلك المراكب التجارية السويدية لتواجه مصيرها في المتوسط، لهذا رأت السلطات في ستوكهولم أن الوقت قد حان لتأسيس علاقات رسمية مع دول شمال إفريقيا بدء ا بالجزائر، لحماية تجارتها.

–العلاقات مع الدنمارك:

وقعت إيالة الجزائر معاهدة مع مملكة الدنمارك والنرويج، في سنة 1746م، بين الداي ابراهيم باشا(1745–1748م) والمعروف في الكتب بإبراهيم كوجوك أو كوتشوك، مع ممثل ملك الدنمارك والنرويج كرستيان السادس، وتحتوى تلك المعاهدة على اثنين وعشرين بندا وترتيبات بنودها متشابهة بترتيبات المعاهدة مع السويد، وبموجبها

منحت صلاحيات عدة للقنصل الدنماركي في الجزائر أهمها: البند السادس عشر الذي ينص على أن القنصل هو الذي يفصل في النزاع بين الدانماركيين في الجزائر[8].

العلاقات بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الامريكية

في أثناء رئاسة جورج واشنطن (30أفريل 1789-1797م)، وبعد أن فشلت أمريكا في تكوين ذلك الحلف الأمريكي الأوروبي ضد دول المغرب أعلنت عن رغبتها في إقامة علاقات صداقة مع الجزائر بتاريخ فيبراير عام 1792م وأبلغت ذلك إلى حسن باشا أسوة بإنجليتر التي كانت تشتري السلام لسفنها بالمال. وبلغ ما دفعته أمريكا إلى الجزائر في عهد رئاسة واشنطن وخلفه جون آدمز(1797-1801م) مليون دولار. وكان توماس جيفرسون الذي تولى الرئاسة مرتين يميل إلى فكرة مواجهة الجزائر بمنطق القوة فطلب من فرنسا حليفة أمريكا في حرب الاستقلال أن تتحالف معه هذه المرة فعزفت عن الفكرة، ورأى جيفرسون أن يسعى لإنشاء حلف مشترك مع الدول الراغبة لإقامة دوريات بحرية مسلحة أمام السواحل المغربية لتدافع عن سفنها في البحر المتوسط على أن توجيه العمليات البحرية ضد السفن الجزائرية بالذات بعتبارها أقوى البحريات الاسلامية في ذلك البحر لكن المشروع رفض من قبل الكونجرس الأمريكي خوفا من تكاليفه[9].

إلا أن السفن الجزائرية كثفت غارتها ضد السفن الامريكية بسبب عدم اتباطها مع الجزائر بأية معاهدة في هذه الفترة فساءت الأحوال كثيرا واضطر الكونجرس الأمريكي أن يصدر عام 1794، قرارا يقضى بـ:

1) ضرورة إنشاء أسطول بحري دفاعي. بناء ست بوارج وتجهيز عشرة سفن شراعية حربية[10].
2) ارسال تعليمات هامفريز بأن يجري مفاوضات مع الداي، ولكنه في هذه المرة عين له مساعد في مهمته، وهو جوزيف دونالدصون، أبحر المفاوضان في اتجاة اوروبا في ابريل 1795م، وبقي هامفريز في باريس، بينما سافر دونالدصون إلى الجزائر وبعد مفاوضات يومين مع الداي، توصل إلى عقد معاهدة معه، في 28 نوفمبر 1795م وافق هامفريز على المعاهدة كما صدق عليها مجلس الشوخ في 2 مارس 1796م.[11]

اشتملت المعاهدة على:

---

[8]- عبد الهادي رحائي سالمي،2014-2015م،**العلاقات الجزائرية الإسكندنافية في الفترة العثمانية: 1141-1206هـ/1729-1792م**، ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر- 02- أبو القاسم سعد الله.ص

[9]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص59-60

[10]- العربي إسماعيل، **العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776 . 1816**، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م. ص81.

[11]- المرجع نفسه، ص82.

- مال لفدية الأسرى وهذايا وعملات وبلغ مجموعها 6425000دولار .
- وافقت الولايات المتحدة على دفع ضريبة سنوية بالعتاد والاجهزة البحرية تبلغ قيمتها 21600دولار[12].

في سنة 1800م وصلت إلى الجزائر أول بارجة أمريكية "جورج واشيطن" بقيادة القبطان بانبريدج، حاملة للضريبة السنوية من الاجهزة البحرية والعتاد، وبطلب من الداي وجهت للقيام برحلة إلى الباب العالي لنقل الهدية للسلطان العثماني. أما في سنة 1807م فقد غضب الداي بسبب تأخير الو.م.أ، في إرسال الضريبة السنوية والأجهزة البحرية فأعطى أوامر لإسطوله بأن يستولى على سفنها التجارية وقد وقعت في قبضة الجزائريين ثلاث سفن،وبالرغم من نجاح القنصل الامريكي في تهدئة الداي بدفعه كلفة فدية 09 أسرى أمريكيين، لكن بعد وصول الهدية لم يرضى الداي بالبضائع المقدمة وأمر بإعادة شحنها وطلب أن يدفع الضريبة بالمال، وأعطي الداي مهلة للقنصل الأمريكي ثلاثة أيام ليدفع وإن لم يدفع عليه أن يرحل هو وجميع الرعايا الأمركيين، في الموعد المحدد حزم القنصل والرعايا الأمركيون أمتعتهم واستقلوا سفينة إلى جبل طارق. بقيت العلاقات متوترة بين الطرفين حتي وقعت معاهدة جديدة من قبل وليام شالر وداي الجزائر وتفقوا على ان لاتطالب الجزائر الو. م.أ. والأسرى الذين يحتفظ بهما الطرفان يطلق سراحهم بدون فدية. عين وليام شالر قنصل للولايات في الجزائر 1816م.

المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

الفئات الاجتماعية في المدن:

اهتمت الدراسات المتخصصة في التاريخ العثماني، بدراسة الفئات المشكلة للمجتمع ومكانتها السياسية التي تكون مستندة على نظام الحكم وغالبا ما توصلت الدراسات إلى أنّ التشكيلة الاجتماعية للمجتمع المدني كانت مرتبة في شكل هرمي: أتراك، كراغلة، حضر، برانية ودخلاء[13]. فبالرغم من أن أغلبية السكان كانوا يعيشون في الأرياف، بينما المدن لايؤلف سكانها سوى أقلية ضعيفة لا تتعدى حسب المعلومات المتوفرة الخمسة بالمئة من مجموع السكان وهذه النسبة المتواضعة من سكان الحضر تختلف كثافتها من منطقة إلى اخرى، فهي في المنطقة الغربية تتراوح مابين سبعة إلى ثمانية بالمئة أما في المنطقة الوسطى تنخفض إلى ستة بالمئة بينما في المنطقة الشرقية لا

[12]- المرجع نفسه، ص82.

[13]- سعيدوني ناصر الدين، أبو عبدلي المهدي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، ج4، دط، م، و، ك، الجزائر، 1984، ص192-195.

تتجاوزالثلاثة بالمئة من مجموع السكان-[14]، إلاّ أن المجال الحضري تقاسمته ثلاث طبقات رئيسية وكانت هذه الطبقات تحتوي على فئات متمايزة الوظائف لكن تتقارب من حيث الترتيب الاجتماعي ومستوى الدخل[15].

1-الأتراك: تعرف بالأقلية التركية، في مجملهم يشكلون الجهاز السياسي، الإداري والعسكري على أعلي مستوي يطلق عليهم الأرستقراطية الحاكمة، التي تتمتع بامتيازات هامة نتيجة لدورها الاقتصادي والاجتماعي ومركزها في تسيير شؤون البلاد[16]. فقد كانت المالكة لأهم وأخصب الأراضي الموجودة في فحوص المدن. إلى جانب ذلك استفاد هؤلاء (الدايات وأعضاء الديوان) من مداخيل التجارة عن طريق احتكار المواد الأساسية الموجهة للتصدير، فوكيل الخرج مثلا تمكن من الحصول على حق احتكار الأصواف مقابل مبلغ شهري 10000قرش[17].

كما مارس الدايات التجارة الخارجية التي تعتمد أساسا على تسويق المواد الأولية والزراعية إلى خارج الايالة، بمساعدة الوكلاء في أقاليم الدولة العثمانية، واليهود للتسويق إلى لموانئ الأوربية، وهذا ماتشير له رسائلهم إلى فرنسا ومن ذلك رسالة الداي علي (1754-1766م) إلى الماركيز موراس Moras وزير البحرية الفرنسي يشير أن القمح الذي بيع عن طريق لازاريني Lazarini له وأنه تلقي مبلغ 600 ليرة[18].

بالرغم من أن أصحاب المناصب والنفوذ يجمعون ثروات لابأس بها، إلا أن المصادر والمراجع تتفق على أنهم لا يملكون حياة عائلية بأتم معنى الكلمة، فالعائلة بالنسبة لهم تأتي في الدرجة الثانية بعد السلطة، فالداي[19] مثلا بمجرد أن ينتخب لهذا المنصب، حتي يصبح ملكا للدولة التي تفصله عن ذويه لأن المراسيم لا تسمح له بالتمتع بالحياة العائلية في داره الخاصة إلا نصف نهار وليلة واحدة في الأسبوع[20]. ولا يجوز له أن تكون معه داخل دار الامارة، فعليه أن يسكن زوجته في منزل آخر بالمدينة أو بضواحيها. خشية أن يستعمل موارد الدولة في الإنفاق والتوسيع على عائلته، وفي هذا الصدد اتهم الداي بابا علي (1754-1766م) عند وفاته بأن خزينة الدولة كانت فارغة، لأنه أنفق جميع الأموال على عائلته[21].

---

[14]- الواليش فتيحة، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 1993 . 1994م، ص104.

[15]- الواليش فتيحة، الحياة الحضرية، مرجع سابق، ص 112

[16]- المرجع نفسه، ص113

[17]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، مرجع سابق،ص79

[18]- Eugène Plantet : **Correspondance Des deys D'Alger avec la cour de France 1700-1833**, T2, Editions ART'Kange, 2013, p238

[19]- وصف الداي بأنه: "رجل ثري لا يتصرف في كنوزه وأب من دون أولاد وزوج بلا زوجة وطاغية غير حر وملك لعبيد وعبد لرعاياه" للاطلاع أكثر ينظر: شارل اندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية تونس-الجزائر-المغرب الاقصى**، تعريب:محمد مزالي البشير بن سلامة، ط2، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ص376.

[20]- المرجع نفسه، ص376.

[21]- تزوج علي داي واسكن زوجته في منزل ملحق بدار الحكومة، وفتح بين الداريين بابا ليجتاز من واحدة إلى أخرى بسهولة، فتصادم بسبب ذلك مع الديوان ونقنعه رجاله بأن دار الحكومة لا يجب أن يكون لها إلا باب واحد، وأن ما فعله مخالف للعادات والتقاليد فاضطر علي داي لسد الباب.

2- الحضر: فئة عريقة التحضر وصاحبة مداخيل اقتصادية ناجمة عن أملاك عقارية ونشاطات تجارية وحرفية، كانت هذه الفئة في مدن الجزائر تملك عقارات، وتوسعت هذه الممتلكات بتوسع الطبقة وانضمام شرائح أخرى إليها بحكم نشاطاتها وممارساتها، وكان هذا التوسع بمثابة حدث عام على مستوى الإيالة، حيث أصبح الرياس يشاركون في الملكية العقارية الحضرية، فوظفوا أموالهم في أملاك عقارية وهذه ميزة القرن الثامن عشر، حيث حدثت تغيرات كبرى في التشكيلة الاجتماعية الجزائرية أثرت بصفة عميقة على القاعدة الاقتصادية وتمثلت في قلة غنائم البحر، ونمو الملكية خاصة ملكية الأرض و توسيعها[22].

مارس الحضر المهام الإدارية مثل قايد السوق[23]، قايد الباب وقايد الدار، وهذه الفئة تربط بين الفئة الحاكمة وباقي السكان، في حين مارست فئة العلماء الوظائف الدينية والتعليمية ودور الوسيط بين الفئة الحاكمة والسكان. يمتلك العلماء أملاكا عقارية ويشتركون في المصالح التجارية والحرفية، وإضافة إلى ذلك فهم يحتكرون بعض المهن كالتدريس[24]. شكلت هذه الفئة القاعدة الاجتماعية الأكثر اتساعا لفئة الأثرياء والاعيان والممثلين الرئيسين للنشاط الحضري، كانت هذه الفئة لها علاقة مع الفئة الحاكمة.

وكان للعائلات الجزائرية تأثيرها في تنشيط الحركة التجارية، يذكر محمد الأمين: كل من عائلة بوضربة، عائلة البحار، عائلة ابن المرابط وعائلة الصائغي، وأضاف إليهم أهم أسماء الافراد الذين مارسوا التجارة ضمن تلك العائلات، ومن ذلك عائلة بوضربة كأحمد بوضربة الابن والحاج مصطفي بوضربة الأب وإسماعيل بوضربة الابن.

3-العامة والبرانية: والمقصود بالعامة أولئك الذين لا يملكون أدوات اقتصادية (ورش أو حوانيت) وهم أهل مهن متجولون (عتالون وبائعون متجولون...) وعمال باليومية وعمال الطوائف المهنية[25] بالإضافة إلى الفئات التي توافدت على المدينة، والتحقت هذه الفئات بالمدينة بحثا عن العمل، تنقسم هذه الطبقة إلى شرائح رئيسية، شرائح غير مستقرة وشريحة مستقرة لكن احتفظت بأصولها ولم تندمج بصفة نهائية، والشريحة الثالثة هي شريحة من الحضر أو ما كان يسمى بعامة المدينة[26].

فمدينة الجزائر كانت تضم ست طوائف من "البرانية" الذين جائوا من دواخل البلاد إلى العاصمة للعمل، وتضم هذه الطوائف الأناس القادمين من الزاب، بسكرة، جيجل، والأغواط ومن الزنوج الأحرار، هذه المجموعات

=للاطلاع أكثر ينظر: محمد سي يوسف، "المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع25، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2002م، ص72.

[22]- فتيحة الوليش، الحياة الحضرية، مرجع سابق، ص116

[23]- ومن الاسر التي كانت لها امتيازات في الأسواق أسرة الفكون حق احتكار ضريبة سوق الخضر والفواكه بالمدينة. ينظر: جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايليك الشرق الجزائري من القرن 10هـ(16م) إلى 13هـ(19م)**، دط، د، م، ج ، 2015م، ص244.

[24]- فتيحة الوليش، الحياة الحضرية، مرجع سابق، ص 118

[25]- ويذكر أن هؤلاء العمال القادمين من خارج مدينة الجزائر ينامون ليلا في الشارع، أمام أبواب الحوانيت والأسواق أو البيوت التي يحرسونها. وكان القبليون في الجزائر يعملون فرانين أو في حرف متواضعة ويسكنون في أكواخ خارج باب عزون والمحاجر خارج باب الواد. للاطلاع أكثر ينظر: اندري ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،1991م، ص 74-75.

[26]- فتيحة الوليش، الحياة الحضرية، مرجع سابق، ص123

الدخيلة على المدينة مجتمعة حسب انتماءاتها الجغرافية على شكل جماعات صغيرة تحت مراقبة واحد منهم كان يلقب بالأمين تعترف به الحكومة ويعمل كوسيط بين جماعته وبين السلطة ويكلف بالمحافظة علي الأمن داخل الجماعة المسئولة بصفة جماعية عن أي جرم يرتكبه أحد أعضائها ويقوم الأمناء بفرض العقوبات على أعضائها[27].

البراني عامل يتقدم إلى سوق العمل مجرد من كل أدوات الإنتاج التقليدية، حيث لم يسبق له أن امتلك قطعة أرض أو كسب محلا حرفيا، ليس له إلا مجهوده العضلي يعرضه في سوق العمل، فطبقة العامة في الغالب هي التي لا تمتلك مصادر ثروة كالأملاك العقارية وإنما كانت تعيش من الخدمات التي تقوم بها سواء في المحلات التجارية أو الحرفية أو الخدمات العمومية، أو في ورشات البناء...[28]

4-الأسرى: يتكونون من الأسري المسيحيين، والسود الخدم الذين جلبوا من إفريقيا، كانت مهمتهم الأساسية أعمال البناء والأشغال المنزلية. ولا يمكن أن نعتبرهم من السكان المستوردين فقد نقلوا إلى الجزائر رغما عنهم، هم أناس من السودان تم شراؤهم من قبل تجار الطوارق إلى الحكام المحليين مقابل بعض الشاشية، الطرابيش،النعال وقطع من القماش... ويعتبر هؤلاء علامة حقيقية للثروة[29]، فظاهرة امتلاك الخدم في الحواضر لدي الأوساط "الأرستقراطية"، ثم سرعان ما توسعت لتشمل الطبقة "البرجوازية"، حيث زادت الحاجة لاستخدامهم في أعباء المنزل، خاصة النساء الزنجيات اللواتي يقدمن في مهر العروس، أو تكون بمثابة محظيات، في المدينة حيث كان أغلبية عدد السكان من الذكور[30]. وذلك يوضح الاسترداد الهائل من النساء وذلك منطق التجارة في الواقع يتبع هذا المؤشر، فمتوسط سعر النساء أعلى من الرجال(295 مقارنة مع 213ريال).

2-بنية المجتمع الريفي للايالة:

إن الوضع الاجتماعي بالريف الجزائري في العهد العثماني، كان يتميز من حيث النشاط الاقتصادي ونوعية العلاقة مع السلطة، فتصنيف سكان الأرياف يكون على أساس نوعية الحياة بالأرياف والنشاطات الاقتصادية الممارسة فهناك : قبائل تعيش حياة الترحال و الانتقال بقطعانهم، وأخرى تمارس الزراعة وتربية المواشي ويعيش على منتوج الأرض.

1-القبائل المستقرة: في البداية نبدأ من الشرق باتجاه الغرب، فالجهات الساحلية الشرقية والنواحي الداخلية تتوفر على الشروط الملائمة للزراعة، و أغلبهم يسكن الأكواخ أو المنازل البسيطة المصنوعة من الحجارة والطين التي

---

[27]- يقوم الأمناء بفرض العقوبات على أعضاء جماعتهم وفقا لعاداتهم وتقاليدهم وبعد إستشارة عليه القوم بالجماعة، ولم تكن الحكومة تتدخل في شؤنهم الإ نادرا. للاطلاع أكثر ينظر: اندري ريموند، المدن العربية الكبرى، مرجع سابق، ص101.

[28]- فتيحة الوليش، الحياة الحضرية، مرجع سابق، ص124-125

[29]- Tal Shuval: **La ville d'Alger vers la fin du XVIII siècle**,Population et cadre urbain,CNRS Edition,Paris,1998,p131

[30]- أورد ابن حمادوش عقود زواج بمهور تحتوي على رقيق سود للزوجة، للاطلاع أكثر ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش، **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م، ص239 .

تشكل كل مجموعة منها وحدة اقتصادية واجتماعية متكاملة تعرف بالدشرة أو الدوار، تمارس الفلاحة وتربية المواشي لتغطية حاجاتها الضرورية وتزود البايليك بما يحتاجه من محاصيل وحيوانات في شكل ضرائب أوسلع موجهة لأسواق المدن أو للتصدير إلى الخارج عن طريق الموانئ وبواسطة الوكلاء[31].

إن قسما من هؤلاء السكان المستقرين بالمناطق الجبلية ظل ممتنعا عن نفوذ البايليك يعيش اقتصادا مغلقا، أساسه توفير المواد الأولية الضرورية للمعيشة وقوامه "الجماعة" التي تتولى تسيير أمور السكان بإشراف أحد أفرادها من ذوي المكانة أو من أصحاب النفوذ يتولى باعتباره أمين مجلس الجماعة رعاية أفراد قبيلته انطلاقا من مبدأ "الصف" الذي يحدد موقف القبيلة عن غيرها من القبائل الاخرى[32]. ومن أهم القبائل المستقرة في الإيالة بايليك قسنطينة إلى الغرب: "..**نجع الشيخ أحمد بن منصور الشنوفي في ألف فارس و خمسة مائة وهم رعية لتونس و الجزائر (يقصد قبائل نهد) كذلك لم نحصوا عدد دواويرهم و أيضا جبل بني صالح رعيت لبونة في عشرة دواوير...**"[33].

قبائل مرداس التي سكنت عنابة وضواحيها، والتي كانت لها مكانة اقتصادية، فهي تقبض لزمة سنوية من الباستيون الفرنسي،كما أنها تلك ثروة حيوانية لابأس بها. أما القبائل المنتشرة في فحوص دار السلطان فهي إحدى وثلاثين قبيلة تشكل مجالات اجتماعية واقتصادية، وتتميز بعض هذه القبائل عن غيرها بحجمها الكبير الذي يجعلها تشكل في بعض الأحيان أطر إدارية تعرف بالأوطان والقيادات وهي من الشرق إلى الغرب: بني مناصر، ريغة[34]، بني مناد، بوحلوان،صوماتة، موازية،بني صالح، بني مسعود، بني مسيرة، بني خليفة، بني جعاد والزواتنة.

يسكن أهالي القيادات وسطا طبيعيا لايسمح بتطوير زراعة الحبوب، وله إمكانيات محدودة، وذلك خلافا

---

[31]- فلة القشاعي- موساوي، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني آواخر العهد العثماني (1771-1837)**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990م، ص32

[32]- من القبائل التي التزمت بمبدأ الصف في الشرق الجزائري أولاد الحداد، أولاد سنان و أولاد دراج و أولاد مقران و بني عباس بالجهات الواقعة إلى الغرب وإلى الشمال من سطيف وقبائل بني عمران وبني عامر وبني سيار وأولاد بلافو وبني خطاب وفرجيوة وزواغة وساحل البابور بالشمال القسنطيني. للاطلاع أكثر ينظر: القشاعي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني آواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص33

[33]- Archives du Ministere des Affaires étrangères, Etat numérique de la correspondance consulaire et commerciale de 1773 à 1901, Bone et la Calle, CCC 49, N° :54

[34]- كانت هذه القبيلة تعيش في حالة صراع مرير ضد جيرانها، وهذا ما جعل سلطة الأوجاق تقرر عام 1815م بعد إحدى ثوراتها إجبار فرق ريغة على هجر مواطنها ورغم أنها نجحت في الرجوع إليها، إلا أن هذه الأحداث أفقرت القبيلة وقلصت عدد أفرادها و تأثيرها. للاطلاع أكثر ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني1791-1830م**، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص134.

لأوطان الساحل ومتيجة[35] فالوسط الجبلي للأطلس يحصر النشاط الاقتصادي في إستغلال البساتين والغابات، وحسب طبيعة التربة كان نمط الإنتاج هذا يستكمل بتربية قطعان الماشية الصغيرة وزراعة الحبوب متواضعة، وتسمح موارد المياه التي توفرها الأودية و الينابيع في الجزء الشمالي المجاورة لمتيجة باتساع نطاق الأشجار المثمرة وزراعة الخضر، كما تدل على ذلك بساتين بني صالح المشهورة[36].

كانت قبائل الرعية في الغرب الجزائري تتكون من مجموع القبائل الخاضعة مباشرة للبايلك وتقيم في القرى والدواوير التي كانت تراقبها قبائل المخزن ويشكلون غالبية السكان، حيث قسمت قبائل الرعية في بايلك الغرب إلى عدة مجموعات منها مجموعة تخضع مباشرة للباي، وتتألف من أفراد عشيرتي بني عامر ومجاهر[37].

فقبائل "**بني عامر**"[38] بطونها ثلاث: بنو يعقوب الذين تنسب لهم أرض اليعقوبية المشهور، بنو حميد ومنهم الحجز وهم بنو حاجز عبيد بن حميد منهم جحوش وجحيش ومحمد ورياب والحاجرة وغيرهم. بنو شافع كانوا جند نصارى بوهران وذلك لقرب أرضهم من وهران ورياسة بنو عامر كافة لداوود بن هلاك بن عطاف وأرضهم غربي مليانة، وتغلبت بنو عامر على التلال فنزلت بسهولة بلعباس واتصلت مجالاتها بجبل هيدور فكانت حصة حميان أرض الحفرة وما والاها أو حفرة الأندلسيات ومن حميان الذين انتقلوا إلى وهران المحاميد، وبنو كرز وبني موسى المرابعة والخشنة[39]، بالإضافة إلى قبيلة "**مجاهر**" بسهل مستغانم[40]. إلى جانب هذه القبائل، هناك قبائل تعتمد على النفوذ الروحي لرجال الطرق والزوايا والعائلات المرابطين، وهذا ما نجده في قبائل أولاد سيدي الشيخ، التي كانت حليفة ومقربة من البايلك، الذي كان يقدم لها الهدايا والترضيات في مقابل حفظ الأمن في منطقتها وضمان تحميل الضرائب من القبائل التابعة لها [41].

خضعت وهران و المرسى الكبير للإحتلال الإسباني بجيش فيه عدة ألاف من الجنود وكان عدد أخر من السكان الإسبان يعملون في الإدارة و المنشأت العامة وغيرها، أما سكان المدينتين من الأهالي فقد أوبيدو أو أجلوا لكن بعض الأهالي كانوا يتعاملون مع الإسبان ويقيمون بصفة دائمة أو مؤقتة في مناطق إحتلالهم وكان

---

[35]– يصف حمدان خوجه أهل متيجة بقوله "أن الطبيعة لم تحب سكان المتيجة أنهم مجبلون على الكسل والنذالة والحقد والدسيسة. وليس لهم مورد غير التسبيقات التي يقدمها لهم الجزائريون(سكان العاصمة) مقابل الإعتناء بمزارعهم وقطعانهم وما يدره عليهم الحليب الذي يبيعونه في مدينة الجزائر وعندما يراد وصف شخص بأنه كسول ومسكين يقال عادة أنه من متيجة". للاطلاع أكثر ينظر: حمدان بن عثمان خوجه، المرآة، مصدر سابق، ص49.

[36]– ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص137.

[37]– ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص108.

[38]– يقال لهم "العوامر" و"أولاد عامر".

[39]– محمد بن أحمد أبي راس الناصر، **عجائب الاسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق: محمد غانم، دط، ج2، منشورات المركز الوطني للبحث في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2008م، ص 21.

[40]– المصدر نفسه،22.

[41]– دحماني توفيق، **الضرائب في الجزائر: 1206–1282/ 1792–1865م دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر،2007–2008م.ص 438

الإسبان يسمونهم "**عرب السلم**"[42] ويطلق عليهم كذلك كلمة " **المغاطيس**" أو "**المغطسين**" -أي أنهم يتهمونهم حقا أو باطلا بأنهم تنصروا او "**غطسوا**" تعميدا لهم- والواقع أن جزء قليل من هؤلاء المتعاونين كانوا إعتنقوا المسيحية حسب الوثائق الرسمية الإسبانية، أما الأغلبية فكانوا يتعاونون مع الإسبان وأحيانا مع الأتراك ويتقلبون في ولائهم حسب الظروف والمصالح. وهذا التقلب في المواقف لم يكن ينحصر في قبائل البدو من الأعراب الذين كانوا متهمين بقلة التدين وكثرة التقلب[43].

كما أن هذه التسمية تطلق عليهم لأن من صفاتهم نقل الأخبار للإسبان وتغطيس الناس فهم المغاطيس، ويطلق على قبيلة كرشتل[44] فهذا الإسم هو لهم على الحقيقة، ولغيرهم على المجاز، لعملهم إقتداءا بهم[45].

2-القبائل الشبه المستقرة: تتميز القبائل شبه المستقرة بأنها تجمع بين ممارسة الزراعة الفصلية والرعي الموسمي حيث تتحكم حاجيات الماشية إلى المراعي، وعدم تهاطل المطر في تنقلات البشر كما ترتبط الرزنامة السكنية بالنشاط المزدوج الذي يتعاطاه المزارع ومربي الماشية، بالنواحي الوسطي والجنوبية من بايلك الشرق حيث مواطن أولاد عبد النور الموجدين في السهول العالية القسنطينية كانوا يملكون في الشمال أراضي مخصصة للزراعة ينصبون خيامهم بالقرب منها في الصيف، وبالعكس من ذلك ينتصبون بعد الحصاد في أراضيهم الجنوبية الأصلح لرعي،[46] والتلاغمة وأولاد سلام وأولاد لخضر بالهضاب العليا جنوب قسنطينة، وكذلك القبائل الجبلية بالأوراس مثل بني وجالة و أولاد فاضل وأولاد سلطان، وتعود أهمية هذا الصنف من السكان إلى تلك الكميات المهمة من الإنتاج الحيواني والزراعي التي يتحصل عليها البايلك منهم والتي دفعت حكام قسنطينة إلى تجهيز العديد من الحملات ضد هذه القبائل في محاولة إدخال بعضها في خدمة البايليك[47].

3-القبائل الرحل: يتواجد هؤلاء السكان بالنواحي الجنوبية الشرقية للبايلك الشرق والأقاليم المتاخمة للصحراء ومن أهم القبائل الرحل نجد قبائل النمامشة، التي اشتهرت بكثرة قطعانها فتربية المواشي شغل هذه القبيلة فهم لايحرثوا الأرض مقتصرين على تربية المواشي دون سواها، ولهم السيادة على المناطق الشرقية للأوراس والجهات

---

[42]- مروش المنور، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة، الأسعارو المداخيل)**، د ط ، ج 1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص80.

[43]- مروش المنور، العملة، الأسعارو المداخيل، مرجع سابق، ص81

[44]- تقيم هذه القبيلة عند قدم جبل كرشتل على بعد 15 كلم من وهران بحرا بالشمال الشرقي الوهراني. للاطلاع أكثر ينظر: عبد القادر المشرفي الجزائري، **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم: منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت، ص14.

[45]- قبيلة كريشتل يذكر عنها أنهم غطسوا أمامهم الذي يصلي بهم بأن باعوه للإسبان في غفلة منه، وكيفية التغطيس أنهم يأتون بدوابهم للدواوير على صفة الحضر المتجولين بالدواوير، البائعين للعطرية ومعهم مناطقة من الجلود الفلالية فإذا جلبوه للنصاري، وإذا رأو فرصة في الصغير أو في الكبير أخذوه وجعلوا الجلد على فيه، وحملوه إلى الإسبان فيبيعونه وينتفعون بثمنه. للاطلاع أكثر ينظر: المصدر نفسه، ص 13-14.

[46]- لوسات فلنزي، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1790-1830)**، تعريب : حمادي الساحلي، سراس للنشر، تونس، 1994، ص54-55.

[47]- فلة القشاعي، النظام الضريبي، مرجع سابق، ص33

الجنوبية من تبسة[48]، و قبائل الحراكتة بنواحي عين البيضاء. كذلك قبائل الحنانشة بالجهات الجنوبية من سوق هراس والنواحي الشمالية لتبسة وتمثل هذه الأخيرة قوة عسكرية وديموغرافية هامة على الحدود الشرقية وقد شمل نفوذها عدة مناطق داخل الإيالة التونسية.

ساند إبراهيم بوعزيز شيخ الحنانشة[49] زاوية أولاد تليل وخصص لها منذ تأسيسها الهدايا السنوية المنتظمة والمتمثلة في 40 جملا إضافة إلى كميات هامة من الحبوب والمواشي، ولقد حافظ أحفاده علي هذه العلاقات مع الزاوية، لاشك أن وراء هذه المساندة إستراتيجة متكاملة لمشايخ الحنانشة لعل أهمها ضمان إستمرارية نشاطاتهم التجارية مع الجهة الغربية للبلاد التونسية وخصوصا مع الجريد وقفصة[50].

إلا أن الصراع الذي حدث بين الإيالتين في سنة 1612م يحمل مسؤولية حصوله إلى عرشي أولاد مسعود و أولاد قانة التابعين للحنانشة، والذين إستنجدوا بعسكر الجزائر لما تعرضت أملاكهما إلى الإتلاف (حرق المزارع وإنتزاع الدواب) من طرف محلة تونس، فهدد صاحب الجزائر بإجتياح تونس وتخريبها إذ لم يستجيب حكامها إلى شروطه المتمثلة في تقديم تعويضات عن منتجات فلاحية للقبائل المتضررة وتسليمه رمضان قائد المحلة للإقتصاص منه[51].

يضاف إلى هذا الصنف العشائر البدوية بالصحراء التي إعتادت التنقل نحو الشمال في فصل الصيف بحثا عن المراعي لقطعانها من المواشي والجمال في مجموعات مؤلفة في أغلب الأحيان من مائة خيمة كما هو الحال بالنسبة لقبائل الزبان التي إشتهرت منها قبيلة الدواودة.

أما القبائل الرحل في بايلك التيطري فهي تقع في جنوب المناطق التلية مع مداخل الصحراء، وهي قبيلة عبادلية التي كانت خاضعة لخوجة الخيل، وتسكن مداخل الصحراء يمر منها واد الوصل وواد ورق، عند إلتقائه بواد الشلف، لذلك فهم يزرعون على ضفافها، وفروعها أولاد سيدي عبد الله، بالإضافة إلى قبيلة زناخرة التي تعتمد أساسا على الرعي، وهي تابعة لخوجة الخيل تضم منطقة قصر البخاري، إلى جانب قبيلة رحمان وهي أيضا تابعة لخوجه الخيل، وقبيلة الارباع التي تنقسم إلى فرعين هما الغرابة والشراقة[52]. وأهم القبائل الواقعة جنوب بايلك التيطري والتي تميزت بكثرة التمرد على السلطة بقيت مرتبطة بالبايلك نظرا لضرورة التبادل التجاري، خاصة ضرورة

---

[48]- يوكل الباي أمورها للقياد الذين لهم إتصال بمجموع عشائر النمامشة مقابل حصوله على مبلغ مالي سنوي يقدر ب 2000 بوجو فضة. للاطلاع أكثر ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

[49]- يشرف شخ الحنانشة علي إدارة شؤون 16قبيلة يسكن القسم الأكبر منها الجبال لأن منطقته كانت جبلية بإستثناء سهل تيفش، إلا أن نفوذ شيخ الحنانشة كان يتعدى أراضي القبيلة ليشمل كل الجنوب الشرقي من الزيبان حتي نفطة بالأراضي التونسية، ومعظم سهول قالمة وسوق هراس حتي تبسة في الوسط الشرقي للبايلك وعدد كبير من القبائل التونسية ويصل نفوذه حتي سهول عنابة بالشمال. للاطلاع أكثر ينظر جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايليك الشرق الجزائري، مرجع سابق، ص155-156.

[50]- الأزهر الماجري: **قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر(في جدلية العلاقة المحلي والمركزي)**،ط2، منشورات كلية الأداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس،2007م، ص149.

[51]- فاطمة بن سليمان، مرجع سابق، ص100.

[52]- فايزة بوشيبة، مرجع سابق، ص45.

اقتنائها للحبوب وهي أولاد نايل تسكن مساحة واسعة من الصحراء حيث تصل إلى شرق بوسعادة وغربا إلى جبال عمور، تعتمد أساسا على تربية المواشي والإبل وأهم قبائلها: أولاد عيسي الورق، أولاد عيسى السواقي، أولاد ساعد بن سالم، أولاد سي محمد، أولاد يحي بن سالم[53].

4-القبائل المتمردة: تحصنت القبائل المتمردة في أغلب الأحيان بالجبال، كجرجرة والبابور والونشريس، حيث عرفت أراضي هذه القبائل ب: "الملك الجبلي" تقيم فيه المجموعات السكانية التي لا تعرف الضرائب[54]، فهناك أهالي ساحل بجاية والبابور لا يدفعون الضرائب المترتبة عليهم وحتي الهدايا والعوائد ولا تؤخذ منهم إلا بالإرغام والقسر، فأصبحوا بعد الهزيمة التي الحقتها قبائل فليسة بالأتراك في مضيق جرجرة لايطلب منهم سوى السكينة، أما العشائر القبلية القاطنة بنواحي جيجل والقل وسطورة فقد ظلت مستقلة ولم تعد تدفع ماعليها من الضرائب[55].

من أهم القبائل المتمرد في الغرب الجزائري نجد قبيلة فليتة بسهل مينا، وهي قبيلة مشهورة تولى قيادتها الباي محمد بن عثمان قبل أن يتولى منصب الباي، وكان الأتراك يعينون لها قائدا خاصا لخطورتها وإن خرج منها بسلام عين بايا [56] أباد الأتراك عددا هاما منها بسبب مؤازرتها للإسبان فتقلبت مواطنهم. إلى جانب قبيلة هبرة هم أولاد مقداد ابي مجاهر بن سويد بن عمارة بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن هلال بن صعصعة بن معاوية بن بكرين هوازن بن منصور إلى أن يصل نسبهم إلى معاد بن عدنان، وهم عرب هلاليون من سويد أما بطونهم فهي تسعة: الدعامشة أولاد عماش بن هبرة الهدادجة أولاد هدايج بن هبرة، الملايلية، المكانزية، الفطاسنة، الدعاعنة، الصواوقة، العزايزة والدواودية أصلهم من هبرة وكان أبوهم داود كيلا علي أغا عثمان بن إسماعيل البخاري بهبرة. إضافة إلى ذلك قبيلة الأعشاش بالقرب من مغنية [57]، فالبرغم من إبتعاد هذه المجموعات السكانية عن نفوذ الحكام وعدم إعترافهم بسلطته فإن حكومة الداي حاولت أن تحد من إستقلالهم وترغمهم على مهادنة السلطة الحاكمة.

5-قبائل المخزن: تعتبر قبائل المخزن حلقة الوصل بين الرعية والحكام ورابطة متينة شدت المحكوم إلى الحاكم وأبقت تماسك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية[58]، فهذه القبائل من حيث نشأتها وتطورها وصلاحيتها كانت

---

[53]- إلى جانب كل القبائل المذكورة نضيف قبيلة أولاد مختار (الشراقة والغرابة) والتي كانت تلعب دور الوسيط بين البايليك والقبائل الرحالة في الجنوب لذلك كانت علي علاقة مناشرة مع الباي وكثيرا ماسعدته في إخضاع القبائل المتهربة من دفع الضرائب على رأسها أولاد نايل وعدم ذكرها في الوثائق قد يكون لإعتبارها من طرف البايليك من عرش أولاد نايل خاصة وأنها محاطة جغرافيا بقبائله. للاطلاع أكثر ينظر: المرجع نفسه، ص45.

[54]- أندري نوشي وأخرون، مرجع سابق، ص190.

[55]- ناصر الدين سعيدوني، "مذكرة حول اقليم قسنطينة Urbain, Notice sur la province de Constantine"، **مجلة الاصالة**، ع70-71، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م، ص11.

[56]- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني**، تقديم وتحقيق: المهدي بوعبدلي، دط، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973م، ص 71.

[57]- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، مصدر سابق، ص 137.

[58]- المخزن في الجزائر هو مقاطعة تابعة لنطاق البايليك وتسير من خلال أعوانه خارج المدن. ويحكم المخزن خارج البايليكات، قبائل الرعية أي المناطق الخاضعة للحكم المركزي والتي يسيرها المخزن كأداة إدارية واقتصادية. للاطلاع أكثر ينظر: كمال فيلالي، **تاريخ المغرب الحديث، من فتح القسطنطينية**

إنعكاسا صادقا وتطبيقا عمليا لسياسة الأتراك مع الغالبية الساحقة من الجزائريين، هذه السياسة التي أبرزتها بالخصوص في شكل مجموعات سكانية تعميرية لها صبغة فلاحية وعسكرية إدارية استمدت منها تماسكها[59]. كما تعرف باسم الأرستقراطية المخزنية وهذه الفئة هي ما كان يسمى بنبلاء السيف في الشرق ولقبت بالاجواد في الغرب الجزائري[60].

تتمركز قبائل المخزن في ضواحي المدن والحاميات، لتسهيل حركة مرور الجنود، والأسواق، وبجانب مخازن الحبوب والطواحين وغيرها، وتكلف بحراسة الأبراج والحصون، والممرات الرئيسية والمسالك الجبلية ويعتمد عليها في استخلاص الضرائب وحفظ الأمن وكانت تتمتع بالإعفاء من الضرائب غير الشرعية.

وبفعل الانتساب والاستقرار والنشأة على أراضي البايليك اكتسبت هذه المجموعات البشرية المعروفة بقبائل المخزن كيانا مستقلا متمايزا، ولم تعد تعرف من أنسابها القديمة ومواطنها الأصلية إلا ما علق بتسمياتها الجديدة كقبائل: الصحارى والغرازلة وهاشم والعبيد والعثامنة، في حين اتخذت الغالبية الكبرى من المخزن تسميات محلية وألقابا خاصة استمدتها من مواطنها الجديدة، أو اشتقتها من الوظائف التي كانت تمارسها والمهام التي كانت تقوم بها أو استعارتها من نوع السلاح الذي كانت تحمله، فمخزن "الزواتنة" نسبة إلى وادي الزيتون[61] رغم أنهم كراغلة، ومخزن المكاحلية عرفوا بذلك لنوع السلاح الذي اشتهروا به فرسانه. والمجموعات المخزنية من مخازنية وزمول(جمع الزمالة) ودوائر(جمع دائرة) عرفوا بهذه الأسماء نظرا للمهام التي كانوا يمارسونها[62].

ففي بايلك التيطري قبائل المخزن هي: قبيلة "عبيد" المقيمة في سهل برواقية، وقبيلة "دواير" التي تقع شرقها، بالإضافة إلى القبائل التابعة للآغا، وهي القبائل التي جرد منها الباي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتقع في الأجزاء الشمالية من البايلك، ووضعت تحت إشراف الآغا، خاصة وأن هذه القبائل محيطة بدار السلطان، وتعتبر هذه القبائل بمثابة الجدار الأمني بين دار السلطان والقبائل التي تقع خارج حدوده[63]. أما في بايليك الغرب تتركز في جهتين:

الأول: يأخذ جوانب الجبال التلية من سبخة وهران إلى منتصف وادي الشلف في غرب الإيالة.

إلى سقوط قسنطينة (1453–1837م)، أساطير مؤسسة، هجرات، مؤسسات وثورات، ط1، دار ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2016م، ص183.

[59]– ناصر الدين سعيدوني، "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، **مجله الاصاله**، ع32،مطبعة البعث، قسنطينة،1976م. ص46-47

[60]– فتيحة الوليش، الحياة الحضرية في بايليك الغرب، مرجع سابق، ص113

[61]– يقع واد الزيتون على الضفة اليسرى لوادى يسر، جنوب شرق مدينة الجزائر بين قبيلتي الخشنة وبني جعاد. للاطلاع أكثر ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، مرجع سابق، ص47.

[62]– المرجع نفسه، ص48.

[63]– وأهم المناطق التي إقتطعت من البايليك هي: إقليم سباو،وأهم أوطانه يسر وخشنة، وأهم قبائل في هذا الإقليم هي: بني معاند، بورياش، أولاد خلفون، ثابت بن إبراهيم، إبراهيم بن سعيد، أولاد موسى، بني راشد، زاوية سيدي يوسف، زاوية سيدي محمد بن إبراهيم. للاطلاع أكثر ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر،مرجع سابق، ص170

الثاني: في أطراف الصحراء من سعيدة إلى سبدو، وهو ما كان يسمح بمراقبة وإحكام القبضة على قبائل الرعية[64]، فقد كانت القبائل التي تقاسمت بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر على النحو التالي: "**الدوائر**" تعتبر القبيلة الأقوى في مخزن وهران، استقرت في المنطقة سنة 1163هـ /1750م وتتربع على مساحة أراضي تناهز 140 ألف هكتار[65]. إلى جانب "**الزمالة**" التي تنزل بضواحي وهران وتساعد الباي في الحروب والجباية[66]. وهم فريق صغير واختص الزمالة بتوليه مناصب الأغا والقائد[67].

أما "**الغرابة**" فإنهم كالزمالة والدوابر ويطلق لفظ العبيد على الدوابر، وقد إنقسم عرش الغرابة إلى عرشين: عرش غربي وعرش شرقي وانحصرت الرئاسة في عرش الغرابة[68] بالإضافة إلى قبائل "**البرجية**"[69] من قبائل المخزن الغربي بوهران بالإضافة إلى نجع الدوابر والزمالة والبرجية والغرابة والدوابر. ويمكن أن نضيف في هذا المقام قبائل "**الحشم**"[70] التي قسمت إلى مجموعتين: "**حشم الأجواد**" حيث حظيت هذه القبائل بالسلطة والنفوذ، وأجواد حشم غريس فريقين: أجواد غريس الشرقي، وهناك أجواد غريس الغربي[71]. أما الصنف الثاني من الحشم "**غير**

---

[64]- توفيق دحمان، الضرائب في الجزائر، مرجع سابق، ص430

[65]- المرجع نفسه، ص 431.

[66]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، **ذخائر المغرب العربي، تاريخ بايات وهران المتأخرة أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، دط، ش، و، ن، ت ، الجزائر،1974م، ص95.

[67]- إنقست قبايل الزمالة إلى ثمانية أعراش وهي كالتالي: المخاليف: نسبة إلى جدهم مخلوف وأصلهم من بني زروال، القدادرة: نسبة إلى جدهم بن علي الحلوش، وهم اخوة للعلايمية، القرايدية : يقال لهم المعايزية ، نسبة إلى جدهم قرادة أو الى أحمد بن مغرة بن الحبوشي ولد قرادة ،وهم اخوة للقدادرة والعلايمية، الواردة: نسبة إلى جدهم وارد الذي ينحدرون منه، المخاترة ويقال لهم الزبيرية ، نسبة لجدهم القريب المختار، وجدهم البعيد الزبير ، ويقال لهم أيضا أولاد يحي بالزبير، الونارزة: نسبة لجدهم ونزار الذي جاء على ما قيل من الساقية الحمراء، السباسقة: نسبة إلى جدهم يوسف،الشوايلية : نسبة إلى جدهم أو جدتهم شايلة، وهم من الحشم بغريس. للاطلاع أكثر ينظر: إبن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الي أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1،ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2007م، ص 332.

[68]- تضم ثمانية فروع هي: العلايمية: نسبة لجدهم علام بلجيوش من منطقة تافيلات، الواردة: نسبة لجدهم موسى بن وارد، الخدايمية: نسبة لجدهم أبي خادم، الوناونية: نسبة إلى ونان بن العبد من أصل غريس، السهايلية: نسبة لجدهم سهيلة أو محمد بن شاعة، المحاميد: نسبة إلى جدهم محمود بالحشم الشراقة وأصلهم من جمان، الرفافسة: نسبة لجدهم الرفاس من أولاد عوف، العوايلية :ويقال لهم أولاد بن عوالي نسبة لجدهم بن عوالى أو جدتهم عوالي، وهم من جبال عمور شمال الصحراء. للاطلاع أكثر ينظر: المصدر نفسه، ص 337.

[69]- قبيلة تنسب للبرج القريب من معسكر. للاطلاع أكثر ينظر: مسلم بن عبد القادر الوهراني، مصدر سابق، ص 95.

[70]- أرجع اسم الحشم إلى لفظ الحشمة وتعني الحياء أو من لفظ الحشم بمعني الغضب، ومن الفرق التي تفرعت عن حشم أهل غريس نجد فرقة أولاد سيدي علي بن محمد، فرقة أولاد سيدي دحوا،أولاد سيدي محمود، أولاد سيدي علي بن أحمد هم الأوائل اللذين إستوطنوا غريس ومن مشاهيرهم أحمد بن التهامي أي الحاج مصطفي بن التهامي، وكذا سيدي علي بن شنوف. للاطلاع أكثر ينظر: الطيب بن مختار الغريسي، **القول الاعم في بيان نسب الحشم**، ط1، المطبعة الأولى، تلمسان، الجزائر، دت، ص 351-330.

[71]- بيرم كمال، **الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الإحتلال الفرنسي (1840-1945)**، مذكرة ماجستير، قسنطينة، 2011، ص61.

الأجواد" فهم بعيدون عن السلطة وأقل مرتبة من الأجواد ومنهم أولاد عبد الواحد، وفرقهم كأولاد رحو، لا يتصل نسب بعضهم بالأخر[72]. كما يمكن ان نضيف في هذا المقام المكاحلية.

مؤسسات التسيير في المدن إيالة الجزائر

1-القضاء:

يعتبر القضاء الهيئة التي تراقب العدل ومجراه، كما تتكفل بحمايته، وبهذه الهيئة تستقيم الحياة وترتقي، ويتشكل من قاضيين، أحدهما مالكي لأغلبية السكان، والآخر حنفي للأتراك وبعض العرب، وقد اجتمعت مهامه في النظر في كل قضايا التي المدن، مثل: تسجيل عقود الزواج والطلاق، والمعاملات والمبادلات كالوصايا والبيع والشراء وتنفيذها فيما أباحه الشرع، بالإضافة إلى فصل المنازعات وقطع التشاجر والخصومات، إمّا صلحا عن تراض أو إجبارا بحكم بات، وقد تميزت المحكمة المالكية بصرامة أحكامها، وهناك مهام أخرى تقوم بها، منها: تصفح الشهود والأمناء، واختيار النائبين عن القاضي أو خلفائه[73]. والمحكمة تتشكل من المفتي والرئيس الشرفي وعدلين (شاهدين) يساعدان القاضي ويحرران العقود القضائية، ويمضيانها، وكبير الكتاب يستطيع أن ينوب عن القاضي إذا غاب.

إلا أنّ مهمة القاضي تختلف عن مهام المفتي، لأنّ الأول يشترط فيه التنفيذ فورا، بينما الثاني قد تتعدّد الآراء فيه، وقد لا يؤخذ برأي واحد، وكما يتساوى المذهبان في المهام يتساوا في عدد الأعوان، فلكل منهما إثنى عشرة عدلا يشاركون في كتابة المعاملات وإمضائها، والقاضي يضع الطابع الضابط، وأي وثيقة ممضية من طرفين ولو كانت تحمل إمضاء شاهدين من العامة لا يُعمل بها، ولا تعتبر صحيحة، ويمكن إنكارها أمام المحكمة ولو كانت تحمل ختما، فلا تكون الوثيقة صحيحة ولا قانونية إلا إذا حُرّرت على يد عدلين رسميين[74]، ويستعين القاضي بالمفتي في بعض أحكامه، وغالبا ما تكون شخصية المفتي من الأهالي، وعادة يُختار من بين العلماء المعروفين في المدينة، وهو من أبرز الشخصيات المحلية[75].

وإلى جانب القاضي وأعوانه، كان يوجد لكل نحلة دينية أو طائفة مذهبية محاكمها الخاصة، فاليهود يحتكمون إلى أحبارهم ومقدموهم، ولا يعودون إلى محاكم المسلمين إلا إذا تعلّق الأمر بمخالفاتهم مع المسلمين[76].ومن جهاز المحكمة، كان الحاكم الشرعي يقوم بدوره في المدينة، وهو الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع، وفي الغالب يخرج عن وظيفته الدينية، فتمتد صلاحيته إلى مختلف مجالات الحياة، فمن الوثائق يظهر دوره

---

[72]- المرجع نفسه، ص 61.

[73]-منير العجلاني، **عبقرية الإسلام في أصول الحكم**، ط2، دار النفائس، بيروت، 1988م، ص347.

[74]-أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791سيرته- حروبه- أعماله-نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص171.

[75]-خالد زيادة، السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية، **المجلة التاريخية المغربية**، ع39-40، تونس، 1985م، ص511.

[76]-ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ-العهد العثماني-**، ج4، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص23.

المهم، فإلى جانب كونه رجل عدل وقضاء، أضحى يمثل الإدارة ومسائلها، بالإضافة إلى أنه كان يقوم بدور كاتب العدل الغربي (Notaire)، فهو الذي يسجل القروض والبيوعات عندما تبلغ قيمتها مستوى التسجيل، فالإقرار بالدين من فلان لآخر هو بلا أدنى ريب يعتبر سنديا، كما يصحّ أن نطلق عليه سند القروض، أو المعاملة الشرعية[77].

وهذا ما جعل المحاكم الشرعية في العصر العثماني تقوم بمهمة دوائر الطابو أي "Cadastre" قديما، فقد كانت تسجل شرعا بيع الدور والمنازل[78]، غير أنّ المحكمة لم تكن ملزمة بدفع أجور القاضي وأعوانه، حيث لا يأخذ القاضي إلا ريالا فقط عن كل عقد بوضع الطابع وإقرار الصحة في آخر كل شهر، ويوقع، فيكتب أن كل ما ورد فيه "صحيح ولا يعتريه ريب"[79]، ولا تتعدى أجرته السكة الجزائرية، ولا يرتفع هذا الريال إلا عندما يتعلق الأمر ببيع عقار، لأنّه فيه يلزم القاضي بمراجعة الرسوم والتحقق من الملكية، وفي قسمة المواريث (التركات)، فينال القاضي منها (10%)[80].

2-المزوار[81]: يقوم بمهام شرطة الأخلاق والمخالفات الاجتماعية بمساعدة أعوانه من الحرس على رأسهم السركاجي وقائد الفحص، ويمكن أن نجمل مهامه فيما يلي :

1. مراقبة أهل الدعارة.
2. الحق في حجز كل امرأة منحرفة تمارس البغاء بدون رخصة في منزل خاص بهن ولا يسمح لهن بالخروج منه إلا بإذنه وحتي الصفقات التي تتم بين هاته الفئة ومن يرغب في ممارسة الدعارة، يكون هو فقط المسؤول عن إتمامها، ويحرص أن يعيد بعدها المرأة إلى مكانها الأصلي، ويستفيد بدوره من مبلغ من المال نظير كل صفقة سواء أكان يوميا أو شهريا، وحتى السلطة الحاكمة التي يمثلها الداي تستفيد هي الأخرى من تلك الصفقات حيث يخصص له مبلغ مالي يقدر بألفي ريال وذلك مرة كل سنة.
3. له الحق في تطبيق العقوبات الجسدية على المخالفين و العصاة و تنفيذ عقوبة الإعدام إذ تلقى الأمر من الداي.
4. و يسهر على أمن شوارع المدينة وحراسة الزنزانات والسجون الخاصة بهن[82].

---

[77]-خليل الساحلي، سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، **المجلة التاريخية المغربية**، ع1، تونس، 1974، ص30.

[78]- المرجع نفسه، ص32.

[79]- قشي فاطمة الزهراء، **قسنطينة المدينة والمجتمع في المنتصف الأول من القرن 13هـ من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تونس الأول، 1998، ص30.

[80]- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سابق، ص171.

[81]- المزوار: كلمة بربرية معناها الأول الرئيس.يعرف في قسنطينة بقايد القصبة، يساعده في اداء مهامه أعوان مثل: السركجي وقائد الفحص.للاطلاع أكثر ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، ص 19.

5. يراقب النساء المومسات اللواتي يسجلن عنده في سجل خاص ورسمي بألفاظ تفرق بين المومس العدية وبين الخليلة التي هي عادة من امتياز الفئات العليا.
6. و كانت فرقة الشرطة الليلية تراقب الدعارة ليلا و تقبض على النساء والمشبوهات.
7. وتتعدي مهمته إلى لعب دور الوسيط بين المومس وزبونها، وفي مقابل ذلك يأخذ نسبة معينة من السعر المتفق عليه[4]. يعلق "سيمون بفايفر" عن سوء معاملة المزوار لهاته الشريحة التي يتحكم فيها دون ان يحاسبه أحد، وإذا تخلفت واحدة منهن عن دفع أجرته يأمر بضربها، بل وأحيانا حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة وتموت، وإذا تعلق الأمر بإحدى النساء اللاتي مارسن البغاء مع أحد اليهود أو المسيحيين، فإنها توضع في كيس ويلقى في البحر[83].

3–شيخ البلد: يعتبر موظفا مدنيا يشرف على النقابات المهنية والطائفة السكنية، ويستلم من الأمناء الضرائب والرسوم ليودعها في الخزينة العامة كل شهرين بالإضافة إلى الأموال التي يأخذها من النساء المنحرفات واللاتي يحتجزن عند المخالفة في سجن يقوم هو شخصيا بمراقبته.[84]

اقتصرت مهنة المزوار على جماعة الحضر دون الترك ويرجع السبب في ذلك إلى احتقار السكان لها واشمئزازهم من سلوك صاحبها لإرتباطها بالمسائل المنافية للأخلاق رغم الأرباح التي تعود على صاحبها من الرسوم المأخوذة من بنات الهوى إذ أن المزوار كان يتسلم كل شهرين مقدار من المال يتراوح مابين 05 إلى 10قطع بوجو عن كل بنت عمومية وذلك حسب عدد الزبائن وهذا ما يوفر دخل متوسط يقدر ب: 2000 قرش[85].

4–قايد الليل: يعرف في مدينة الجزائر بهذا الاسم أما في مدينتي قسنطينة و وهران فيعرف باسم "خليفة الليل" و هو قايد القوبجية المكلفين بحماية الأخلاق والحفاظ على الأمن إذ ينوب قائد القصبة في عمله ليلا كما يشرف على سجن مخصص لتلك النسوة ينوب عنه في حالة غيابه الباشا سركاجي.

---

[82]– نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور الى انتهاء العهد التركي**، قسنطينة، كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، 1995، ص 76.

[83]– سيمون بفايفر، **مذكرات**، تقديم وتعريب : أبو العيد دودو ، ش، و، ن، ت ، الجزائر 1974 ،

[84]– المنور مروش، العملة الاسعار والمداخيل، مرجع سابق، ص 352.

[85]– سعيد شريدي، تطور وظيفة القايد، مرجع سابق ، ص 109